

تحذير الإخوان

عَمَّا يُوجِبُ مُحَارَبَةَ الدِّيَّانِ
بِإِذَاءِ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ

للعلامة المحقق الحبيب
زين العابدين باعلوي

دار العلم والدعوة

تحذير الإخوان

عَمَّا يُوجِبُ مُحَارَبَةَ الدِّيَّانِ
بِإِذَاءِ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ



تخذيرُ الإخوان

عَمَّا يُوجِبُ مُحَارَبَةَ الدِّيَّانِ
بِإِذَاءِ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ

للعلامة المحقق الحبيب
زين العابدين باعلوي

دار العلم والدعوة



حقوق الطب مع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

دار العلم والدعوة

+967 735205847

alim.110@hotmail.com

إخراج وطباعة وكالة



للنشر والاعلان - سيئون

+967 777339345

almusawa1@gmail.com

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي خَصَّ أقواماً بحكمته، وجعلَهُم مظاهرَ فضله
ورحمته، وخزائنَ علمه ومعرفته، والصلاةُ والسلامُ على الحبيبِ
الأعظم، والنبِيِّ الأكرم الذي أَرْسلَهُ اللهُ إلى سائرِ خَلِيقَتِهِ، فهداهُم
إلى صراطِ اللهِ، وأَوْضَحَ لَهُم الطريقَ إلى رِضاهُ وَجَنَّتِهِ، وعلى آلِهِ
الْمُتَمَسِّكِينَ بِسُنَّتِهِ، والدَّاعِينَ إلى اللهِ بِدَعْوَتِهِ، وعلى صَحْبِهِ الْقَائِمِينَ
بِحَقِّ صَحْبَتِهِ، والثَّابِتِينَ في الشَّدَائِدِ على نُصْرَتِهِ.



الصوفية والتصوف

لقد تعودّ الناس اليوم من كلمة الصّوفية؛ لكثرة ما قيل عنها
وفيهما من المثالب، فقول مجرّدهم من الإسلام، وآخر يرُدّها إلى
مجوسية الهند، وثالث ينسبها إلى الزندقة، إلى غير ذلك من
الافتراءات الكاذبة والدعاوي الباطلة، قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ الكهف: ٥٠، وقال
تعالى: ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ النور: ١٦، حملهم على ذلك؛
جهلهم بحقيقة الصّوفية - الذين هم أصفياء الرحمن - وسوء الظنّ
بهم، والتعصب والهوى والعدوان، فأطلقوا ألسنتهم فيهم بالثلب،
وافترّوا على الله وعلى الأولياء الكذب، فابتلاهم الله تعالى قبل
موتهم بموت القلب، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور: ٦٣

وفي الحديث القدسي: ((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب))
 أخرجه البخاري قال الإمام الحافظ ابنُ عساكر رحمته الله: (اعلم أن لحوم
 العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار مُتتقصيهم معلومة، وأن
 مَنْ أطلق لسانه في العلماء بالثلبِ بلاه الله قبل موته بموت القلب)
 اهـ.

فيتعينُ علينا بيان حقيقة أربابِ القلوبِ الصافية، وصحة
 طريقهم، وصدق معاملتهم، وهمهمُ العالية؛ لنقطع بذلك ألسنة
 الطاعنين، ونقيم الحججَ القاطعة على المنكرين الحاسدين.
 واعلم أن هذه الطائفة ليسوا جاهلين بأمر الدين، ولا مبتدعين
 فيه، ولا متبعين الأهواء المضلّة، ولا متحكّمين بعقولهم في دين الله،
 بل هم أشدُّ الناس تمسكاً بالحق وعنايةً بحفظ الحدود الشرعية،
 وأعظمهم اتّباعاً للكتاب وسنة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأكثرهم احترازاً عن
 مخالفة الشريعة وتضييع أوامر الله.

وقد اعتنق مسلكتهم كثير من العلماء والأولياء والعُباد والزهاد على امتداد تاريخنا الإسلامي، ولقد كان الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - يُجِلُّ الحارث المحاسبِي، ويتأثر بكلامه، وهو من أئمة الصوفية، وكان الإمام ابن القيم الجوزِيَّة - رحمه الله - يُعظِّمُ الشيخ عبد الله بن محمد الهروي، ويسميه شيخ الإسلام، وشرح كتابه منازل السائرين، وهو من أهم الكتب في فنِّ التصوف.

قال في شرحه: (اجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم بأنَّ التصوف هو الخلق وجميع الكلام فيه يحوّل على قطبٍ واحد، وهو بذلُ المعروف وكفُّ الأذى، وهذه الأشياء الثلاثة (العلم - الجود - الصبر) بها يُدرَكُ التصوف، والتصوف زاوية من زوايا السلوك الحقيقي، وهو تزكية النفس و تهذيبها؛ لتستعدَّ لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعِيَّة مَنْ تُحِبُّه). اهـ مدارك السالكين الجزء: ٢

حَقِيقَةُ التَّصَوُّفِ

التَّصَوُّفُ: هو علمٌ خاصٌّ لا يتحقَّقُ بِهِ إلا الخواص من أهلِ الله.

أَسَاسُهُ: إَحْكَامُ الْعَقِيدَةِ السُّنِّيَّةِ، وَمَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ الْعَيْنِيَّةِ، وَاتِّبَاعُ الْأَثَارِ النَّبَوِيِّ، وَالتَّمَسُّكُ بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَقَدْ عَرَّفَ ابْنُ خَلْدُونِ عِلْمَ التَّصَوُّفِ بِقَوْلِهِ: (عِلْمُ التَّصَوُّفِ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الْحَادِثَةِ فِي الْمِلَّةِ، وَأَصْلُ طَرِيقَةٍ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَمْ تَزَلْ عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَكِبَارِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ طَرِيقَةً الْحَقِّ وَالْهُدَايَةِ، وَأَصْلُهُ الْعَكُوفُ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَالانْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَالزُّهْدُ فِيمَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ لَذَّةٍ وَمَالٍ وَجَاهٍ، وَالْإِنْفِرَادُ عَنِ الْخَلْقِ فِي الْخُلُوةِ لِلْعِبَادَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ عَامًّا فِي الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، فَلَمَّا فَشَى

الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح النَّاسُ إلى مُخالطةِ
الدُّنيا اختَصَّ المقلِّبونَ على العبادة باسمِ الصُّوفيةِ والمتصوِّفةِ). اهـ
وقد عرَّفَ الصُّوفيةُ عِلْمَهُمُ بأنَّه: علمُ الأخلاقِ الدِّينيةِ؛ يقولُ
الكُتَّاني: (التَّصَوُّفُ هو الخُلُق، فمن زادَ عليك في الأخلاق زادَ
عليك في الصِّفاء- يعني في التصوف). اهـ

وقال الإمامُ القُشيري رحمه الله تعالى: (إنَّه بعدَ وفاةِ رسولِ الله
ﷺ كانَ المسلمونَ ممن صاحبه يرونَ لأنفُسِهِم شرفاً لا يُدانيه شرفٌ
في أن يَتَسَمَّوا بالصَّحابة، وكذلك الأمرُ بالنسبةِ للجِيلِ الذي
تلاههم، فكانوا يرونَ في إطلاقِ لفظِ التابعينَ عليهم شرفاً، فلم
تَظهرَ لذلك تسميةُ المقلِّبينَ على العبادةِ بالزُّهاد والعُباد والنُّسَّاك وما
إلى ذلك إلا بعدَ جِيلِ الصَّحابةِ والتابعينَ). اهـ

قال ابنُ خلدون: (ولمَّا كُتِبَتِ العلومُ ودُوِّنت وألَّفَ الفقهاءُ في
الفقه وأصولِ الكلام والتفسير وغيرِ ذلك؛ كتبَ رجالٌ من أهلِ
هذه الطريقةِ (الصوفية) في طريقهم، فمنهم مَنْ كتبَ في الورع

ومحاسبة النفس في الأخذ والتَّرك كما فعل القشيريُّ في كتابه
(الرسالة)، والسَّهرورديُّ في كتابه (عوارف المعارف)، وصار علمُ
التصوف في المِلَّة عِلْماً مدوَّناً بعد أن كانت الطريقةُ عبادةً فقط). اهـ

وفي القرنين الثالث والرابع الهجريَّين؛ جعل بعضُ شيوخِ
التصوِّف كالجنيد، والسَّريِّ السَّقَطي، والخِرَّاز، وغيرهم؛ يجمعون
حولهم المريدِينَ من أجلِ تربيتهم، فتكوَّنت الطُّرُق الصُّوفِيَّةُ التي
كانت حينئذٍ بمثابة المدارسِ التي يتلقَّى فيها السَّالكون آدابَ
الصُّوفِيَّةِ علماً وعملاً، ثمَّ جاء الإمامُ الغزالي رحمه الله في القرن
الخامسِ الهجري فلم يقبل من التصوِّف إلَّا ما كان مُتَشابِهاً تماماً مع
الكتابِ والسَّنةِ ورامياً إلى الزهد والتَّقشُّفِ وتهذيبِ النفس
وإصلاحِ أخلاقها، وفي القرنِ السادسِ الهجريَّ ظهرَ صوفيٌّ كِبَارٌ
كوُتُبُوا لأنفسِهِم طُرُقاً لتربيةِ المريدِينَ منهم: السيِّدُ العارفُ بالله عبدُ
القادرِ الجيلاني المتوفَّى سنة ٥٦١هـ والسيِّدُ العارفُ بالله أحمد
الرِّفاعي المتوفَّى سنة ٥٧٨هـ، ثمَّ ظهرَ في القرنِ السابعِ الهجري

شيوخٌ آخرون ساروا على نفسِ الطريق، أبرزهم الإمام أبو الحسنِ الشاذلي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ، وتلميذه أبو العباس المُرسي، وتلميذُهما ابنُ عطاءِ الله السَّكندري،

نَعَمْ مِنْ شيوخِ التَّصَوُّفِ مَنْ مَزَجُوا تَصَوُّفَهُمْ بِالْفَلَسَفَةِ؛ فجاءت نظريَّاتهم لا هي تَصَوُّفٌ خالِصٌ، ولا هي فلسفةٌ خالِصةٌ، وهذا النوعُ من الصوفية هم الذين اشتدَّت حملةُ بعضِ فقهاءِ المسلمين عليهم؛ لما ذهبوا إليه من القولِ بوحدة الوجود، وكان أبرزَ مَنْ حمل عليهم العلامةُ ابنُ تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ.

فَعَلِمَ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ عِلْمَ التَّصَوُّفِ لَيْسَ مُحَدَّثًا كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُ النَّاسِ، بل كانت معاني هذا العلم وأخلاقُه موجودةً على عهدِ رسولِ الله ﷺ والصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ، وإنَّما الذي أُحْدِثَ هو الاسمُ فقط، كما أُحْدِثَتْ لكثيرٍ من العلومِ أسماءٌ لم تكن في عَصْرِ النُّبُوَّةِ، كعلمِ أصولِ الفقه ومصطلحِ الحديثِ وعلمِ الكلام وغيرِها.

فلا سَمٌ ليس مقصوداً بالذات، غيرَ أنَّ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ توارثتُه
بهذا الاسمِ وهو التصوُّف، قيل أَنَّهُ مشتَقٌّ من الصِّفاء، وهو
الصحيح، حتى قال أبو الفتح البُستي رحمه الله:

تَخَالَفَ النَّاسُ فِي الصُّوْفِيِّ وَاجْتَهَدُوا

جَهْلًا وَظَنُّوهُ مُشْتَقًّا مِنَ الصُّوْفِ

وَلَسْتُ أَنْحِلُ هَذَا الْأِسْمَ غَيْرَ فِتًى

صَفَا فَضْوَفِي حَتَّى سُمِّيَ الصُّوْفِي

وقيلَ مشتَقٌّ من تَصَوَّفَ؛ أي: لَبَسَ الصُّوفَ؛ لأنَّ الفقراءَ
الزاهدين منذُ بداية الإسلام كانوا يلبسون الصُّوفَ وكان ذلك رمزاً
للتواضع والابتعادٍ عن الكِبَر، قال الإمامُ الحسنُ البصري رحمه
الله: أدركتُ سبعينَ بَدْرِيًّا كانَ لِبَاسُهُم الصُّوف. وروى الترمذي أَنَّ
النبيَّ ﷺ (كان يُحِبُّ دَعْوَةَ الْعَبْدِ، وَيَرْكُبُ الْحِمَارَ، وَيَلْبَسُ الصُّوفَ).
وقيلَ التصوُّفُ منقولٌ من الصُّفَّة؛ لأنَّ صاحِبَه تابعٌ لأهل الصُّفَّة،
وهم فقراءُ المهاجرين الذين يسكنون صُفَّةَ المسجدِ النَّبَوِيِّ،

ووصفهم الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف: ٢٨

قال بعضهم:

ليس التصوف ثوباً أنت لابسُهُ	تزهُوبه بين أصنافِ الدواوينِ
بل التصوف إيمانٌ ومعرفةٌ	وخدمةٌ لفقيرٍ أو لمسكينِ
هو التَّهَجُّدُ في الليلِ البَهِيمِ إذا	نامَ الأنامُ ليومِ الحشرِ والدينِ
هو الجهادُ جهادُ النفسِ عن سَفِهٍ	وشهوةٍ وألَاعِيْبِ الشَّيَاطِينِ

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: ((أحبُّ العبادِ إلى الله تعالى الأتقياءُ
الأخفياءُ، الذين إذا غابوا لم يُفْتَقَدُوا، وإذا شَهِدُوا لم يُعْرَفُوا، أولئك
أئمةُ الهدى، ومصابيحُ العلم)) (رواه أبو نعيم).

وَعِلْمُ التَّصَوُّفِ اسْتِمْدَادُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِلْهَامَاتِ
 الصَّالِحِينَ وَفَتْوحَاتِ الْعَارِفِينَ، وَقَدْ أَدْخَلُوا فِيهِ أَشْيَاءَ مِنْ عِلْمِ الْفَقْهِ
 لِمَسِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَقَدْ حَرَّرَهَا الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ فِي الْإِحْيَاءِ فِي أَرْبَعَةِ
 كُتُبٍ: (الْعِبَادَاتِ وَالْعَادَاتِ وَالْمَهْلَكَاتِ وَالْمُنْجِيَّاتِ)، وَهُوَ الْعِلْمُ
 الَّذِي دَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ.
 وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا تَصَوُّفَ إِلَّا بِالْفِقْهِ؛ إِذْ لَا تُعْرَفُ أَحْكَامُ اللَّهِ الظَّاهِرَةُ
 إِلَّا مِنْهُ، وَلَا فِقْهَ إِلَّا بِتَّصَوُّفٍ؛ إِذْ لَا عَمَلَ إِلَّا بِصِدْقِ تَوَجُّهِ
 وَإِخْلَاصِ نِيَّةٍ، فَهُمَا مُتَلَازِمَانِ فِي الْحُكْمِ كِتْلَازِمِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ،
 وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَى الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ: (مَنْ
 تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَفَقَّهْ فَقَدْ تَزَنَّدَقَ، وَمَنْ تَفَقَّهَ وَلَمْ يَتَصَوَّفْ فَقَدْ تَفَسَّقَ،
 وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ تَحَقَّقَ).



ذكر أدلة الصوفية

اعلم أن التصوّف الإسلاميّ الصّحيح هو علمُ المقامات والأحوال والأخلاق الفاضلة. ومقامات الصوفية وأحوالهم التي تفيض كتبهم بذكرها مستندة إلى القرآن الكريم، فمثلاً مجاهدة النفس التي هي بداية الطريق إلى الله عند الصوفية تستند إلى آيات مثل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت: ٦٩، ومثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النازعات: ٤٠، ومقام التقوى

(١) ويُعنى بالمقامات عندهم مثل التوبة والزهد والورع والفقر إلى الله والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك. ويعني بالأحوال مثل المراقبة والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والمشاهدة واليقين وغير ذلك.

يَسْتَنِدُ إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾
الحجرات: ١٣، ومقامُ الزُّهْدِ يَسْتَنِدُ إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ انْقَى﴾ النساء: ٧٧، ومقامُ التَّوَكُّلِ إِلَى مِثْلِ
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق: ٣، ومقامُ
الشُّكْرِ إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَنْ شَكَرْتُمْ لَا زَيْدَنَّاكُمْ﴾
إبراهيم: ٧، ومقامُ الصَّبْرِ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ النحل:
١٢٧، ومقامُ الرِّضَا: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ المائدة: ١١٩، ومقامُ
الحَيَاءِ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ العلق: ١٤، ومقامُ الْفَقْرِ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ
أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فاطر: ١٥، ومقامُ
الْمَحَبَةِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ
بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة: ٥٤، وكذلك الأحوالُ كَالْخَوْفِ
وَالرَّجَاءِ وَالْحُزْنِ مُسْتَنَدَةٌ أَيْضاً إِلَى الْقُرْآنِ، فَحَالُ الْخَوْفِ مَذْكُورٌ

مثلاً في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ السجدة: ١٦،
وحال الرجاء مشار إليه في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ العنكبوت: ٥، وحال الحزن في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ المائدة: ٨٣، وهكذا يتبين أن ما ذكرناه من المقامات والأحوال وجدت أضوؤها في الكتاب الكريم، ومن تأمل في حياة النبي ﷺ يجدها دعوة صادقة إلى مكارم الأخلاق، وتصفية النفس، والمحبة، والمودة، والرحمة، وهذه المبادئ الخلقية قد أشار إليها ﷺ فقال: (الطَّهَوْرُ شَطْرُ الْإِيْمَانِ، والحمد لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حُجَّةٌ لك أو عليك) الحديث، أخرجه مسلم. وحثَّ على التوكُّل والتسليم لقضاء الله تعالى فقال: (احْفَظِ اللَّهَ تَحِذُهُ مُجَاهَكَ، تعرَّف إلى الله في الرِّخَاءِ

يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيْبَكَ، وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَعْنَى التَّوْبَةِ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. وَأَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ إِلَى الْوَلَايَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحْضَلُ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...) الْحَدِيثُ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ. فَعِلْمُ التَّصَوُّفِ: هُوَ نَتِيجَةُ الْعَمَلِ الْمَشَارِإِلَيْهِ بِقَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمًا مَا لَمْ يَعْلَمْ) أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ. وَبِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وَهُوَ عِلْمُ الْقَلْبِ الْمَوْصِلِ بِالسَّالِكِينَ إِلَى الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ وَالسِّرِّ الْأَفْخَرِ، وَهُوَ نَهَايَةُ مَقَاصِدِ الْعَارِفِينَ، وَغَايَةُ بُغْيَةِ الْمُحَقِّقِينَ، وَمَطْمَعُ نَظَرِ الصِّدِّيقِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ

أَلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿البقرة: ٢٦٩﴾ وجاء في الحديث: (إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه؛ فإنه يُلقن الحكمة) أخرجه البيهقي في شعبه. فأصل التصوف هو مقام الإحسان، الذي فسره الرسول ﷺ بـ (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أخرجه مسلم. فالتصوف أحد أجزاء الدين، الذي علّمه جبريل النبي ﷺ ليتعلّمه الصحابة رضي الله عنهم، فهو إذاً اسم اصطلاحى لمن اتّصف بهذا الوصف فافهم؛ والصّوفية هم قوم تجرّدوا لعبادة الله تعالى مخلصين فيها لله، عاملين بعلمهم، زاهدين فيما سوى ربهم...

كما قال القائل:

قَوْمٌ هُمُومُهُمْ بِاللّهِ قَدْ عَلِقَتْ	فَمَا لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمُو إِلَى أَحَدٍ
فَمَطْلَبُ الْقَوْمِ مَوْلَاهُمْ وَسَيِّدُهُمْ	يَانِعَمَ مَطْلَبُهُمْ لِلوَاحِدِ الْأَحَدِ

وقال آخر:

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطْنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفْنَا

فأهلُ التصوِّفِ هم صفوةُ النَّاسِ، وَرِثُوا عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ وَاقْتَفَوْا
آثَارَهُمْ؛ فَرَفَضُوا الدُّنْيَا وَتَعَلَّقُوا بِالْآخِرَةِ، وَاجْتَهَدُوا فِي جِهَادِ
أَنْفُسِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾
العنكبوت: ٦٩، وَفِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: (أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا
لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) أَخْرَجَهُ
الْبُخَارِيُّ. وَمِنَ الدَّلِيلِ الْمَتَدَاوِلِ بَيْنَ الصُّوفِيَةِ حَدِيثُ حَارِثَةَ بْنِ مَالِكٍ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّذِي لَقِيَهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لَهُ: (كَيْفَ
أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ حَقًّا، قَالَ: انْظُرْ مَا
تَقُولُ، فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ قَالَ: عَزَفْتُ نَفْسِي
عَنِ الدُّنْيَا، فَاسْتَوَى عِنْدِي ذَهَبُهَا وَحَجَرُهَا وَشِدَّتُهَا وَرَخَاؤُهَا؛

فأُسهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري، فكأنِّي بعرشِ ربي بارزاً، وكأنِّي
بأهلِ الجنَّةِ في الجنَّةِ يتزاورون، وكأنِّي بأهلِ النَّارِ في النَّارِ يُعذَّبون
قال ﷺ: عَرَفْتَ فالزَّمْ، حارثَةُ عَبْدُ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ) أخرجهُ الطَّبْرَانِي.



فصل

وَأَحَبُّ أَنْ أَنْقُلَ هُنَا مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الصَّافِيَةِ؛ لِيَكُونَ مِرَآةً
لِلْمُؤْمِنِ، وَيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي مَعْنَى التَّصَوُّفِ الصَّحِيحِ، وَذَلِكَ
ثَمَرُهُ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الرَّبَّانِيَةِ، فَمِنْ ذَلِكَ:
قَوْلُ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (حَرَامٌ عَلَى قَلْبٍ أَنْ
يُشَمَّ رَاحَتَهُ الْيَقِينِ وَفِيهِ سُكُونٌ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى). اهـ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ
الْثَّقَفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مَنْ صَحِبَ الْأَكَابِرَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِ الْحُرْمَةِ
حُرِمَ فَوَائِدُهُمْ، وَبَرَكَاتِ نَظَرِهِمْ، وَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ
أَنْوَارِهِمْ). وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَهُوَ سَيِّدُ الطَّائِفَةِ
الصُّوفِيَةِ عليه السلام: (مَنْ لَمْ يَحْفَظِ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَكْتُبِ الْحَدِيثَ لَا يُقْتَدَى بِهِ
فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ لِأَنَّ عَلَمَنَا مَقِيدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ). وَقَالَ أَيْضاً:
(مَذْهَبُنَا هَذَا - أَيِ: التَّصَوُّفِ - مَقِيدٌ بِأَصُولِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعِلْمُنَا

هذا مشيّدٌ بحديثِ رسولِ الله ﷺ). وقال أيضاً: (الطرقُ كُلُّها مَسدودةٌ على الخلقِ إلا مَنْ اقتفى أثرَ الرّسولِ ﷺ). اهـ

وقال أبو حفصٍ رحمه الله تعالى: (حُسْنُ آدابِ الظاهرِ عنوانُ حُسْنِ آدابِ الباطنِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: لو خشعَ قلبُ هذا؛ لخشعتْ جوارحه). وقال النّضرُ أباضي رحمه الله: (أصلُ التّصوّفِ ملازمةُ الكتابِ والسنة، وتركُ الأهواءِ والبِدَع، وتركُ الرّخصِ والتأويلات). وقال حفصٌ رحمه الله تعالى: (من لم يَزِنْ أفعاله وأحواله في كلّ وقتٍ بالكتابِ والسنة، ولم يتَّهَمْ خواطره فلا تعدّه في ديوانِ الرّجال). وقال أبو العباس أحمدُ بنُ محمد بنِ سهل بن عطاء رحمه الله تعالى: (مَنْ ألزَمَ نفسه آدابَ الشريعةِ نورَ الله قلبه بنور المعرفة). اهـ مختصراً

قلتُ: إذا كانت هذه أحوالُ الصّوفيةِ فلا يُشنعُ فيهم، ولا يُنكر عليهم إلّا من ابتلي بالحرمانِ، وسوءِ العقيدةِ والخُذلانِ، نعوذُ بالله من ذلك ومن كلّ ما يُسخطِ الرحمن، وكيف يسوِّغُ الإنكارُ على

هؤلاء الأختيار مع ما تَقَرَّرَ من أمرهم كما سَطَّرَ في كتبهم؟ وسيَرُهم مشهورة، وكراماتهم مذكورة، وأفعالهم مبرورة، ولكن الأمر كما قال الله تعالى في كتابه المصور: ﴿فَاتَّبَعُوا نِعْمَ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ

تَعَمَّى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج: ٤٦، وكما قيل:

قد تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ

وَيُنْكِرُ الْقَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ

وكما قيل أيضاً:

فَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرَّابَهُ الْمَاءِ الزُّلَالَا

وحسبُ الْمُنْكَرِ عَلَيْهِمْ طَرْدُهُ عَنْ أَبْوَابِ الْكِرَامِ، وَاعْتِرَاضُهُ بِمَا يَفْعَلُ مِنْ صُورِ الطَّاعَاتِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْخُشُوعِ وَالْاحْتِرَامِ، فَكَانَ مِثْلَهُ كَمَنْ يُهْدِي هَدَايَا إِلَى مَلِكٍ عَظِيمٍ وَهُوَ يَحْتَقِرُ جُلُسَاءَهُ، وَيَرْمِيهِمْ بِكُلِّ وَصْفٍ ذَمِيمٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يَطْمَعُ فِي قَبُولِهِ وَإِقْبَالِهِ، وَتَحْصِيلِهِ جَزِيلَ نَوَالِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَجْنُونًا فَلَا شَكَّ بَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ

مطروداً ملعونا، نسأل الله العافية والسلامة، ونعوذ به من موجباتِ
النَّدَامَةِ يومَ القيامة.



فصل في حدّ التصوف والصوفي

قال الشيخ الكردي رحمه الله تعالى في كتابه تنوير القلوب:
حدّ علم التّصوف: هو علم يُعرَفُ به أحوال النّفس محمودةً
ومذمومةً وكيفيّة تطهيرها.

وموضوعه: أفعال القلب من حيث التّركيّة والتّصفية.

وثمرته: تهذيب القلوب، ومعرفة علام الغيوب.

ونسبته من العلوم: أنّه أصل لها، وشرط فيها.

واستمداده: من الكتاب والسّنة.

وحكم الشارع فيه: الوجوب العيني هـ.

وقال بعض الأئمة: إنّما التّصوف: (علم الحال لا علم المقال،

وهو أن يتحلّى بمحاسن الأخلاق التي وردت بها السّنن النبوية،

ولهذا قالوا: التّصوف ارتكاب كلّ خلقٍ سنيٍّ، واجتناب كلّ خلقٍ

دنيٍّ، ألا ترى أن بعضهم امتنع عن أكل البطيخ؛ لأنّه لم يثبت عنده

كيفية أكله عنه ﷺ، وإن ثبت أصل أكله له). اهد بمعناه من (المشرع الروي).

سُئِلَ سَيِّدُنَا الْإِمَامُ قُطْبُ الْإِرْشَادِ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَوِي الْحَدَّادُ نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِ عَنِ الصُّوفِي وَالتَّصَوُّفِ: مَا الَّذِي إِذَا فَعَلَهُ الْإِنْسَانُ سُمِّيَ صُوفِيًّا؟ فَأَجَابَ ﷺ بِقَوْلِهِ: (الصُّوفِيُّ هُوَ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: الصُّوفِيُّ مَنْ صَفَا مِنَ الْكَدْرِ، وَامْتَلَأَ مِنَ الْعِبَرِ، وَاسْتَغْنَى بِاللَّهِ عَنِ الْبَشَرِ، وَاسْتَوَى عِنْدَهُ الذَّهَبُ وَالْمَدَرُ، وَأَمَّا التَّصَوُّفُ هُوَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ أَيْضًا: التَّصَوُّفُ هُوَ: الْخُرُوجُ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيٍّ، وَالْدُخُولُ فِي كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ. وَقَدْ وَقَعَ خِلَافٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقِ فِي التَّصَوُّفِ مَا هُوَ وَالصُّوفِي، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَحْسَنِهِ وَأَجْمَعِهِ، فَمَنْ صَفَّى أَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهِ وَنِيَّاتِهِ وَأَخْلَاقَهُ مِنْ شَوَائِبِ الرِّيَاءِ، وَخَلَّصَهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُسْخِطُ الْمَوْلَى، وَأَقْبَلَ بِبَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى طَاعَتِهِ، مَعَ الْإِعْرَاضِ عَنْ سِوَاهُ وَقَطَعَ الْعَوَائِقَ الشَّاعِلَةَ عَنِ التَّجَرُّدِ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ وَشَهْوَةٍ وَحَظٍّ

وهوى ونفس، وكان جميع ذلك مقروناً بالعلم وأتباع الكتاب
والسنة وهدي السلف الصالح فهو الصوفي الكامل والله أعلم) اهـ
ملخصاً من (مجموع مكاتباته).

وقال سيدنا الإمام علي بن حسن العطار - نفع الله به - في
كتابه (القرطاس) عند ذكره معنى التَّصَوُّف قال: (وحقيقته في
أمرين هما: سلامة الصدر، وسخاوة النفس، ما نال الأولياء ما
نالوه بكثرة صلاة ولا صيام؛ وإنما نالوه بسلامة الصدور، وسخاوة
النفوس. وملاكه: - يعني التَّصَوُّف - في أمر واحد وهو حسن
الخلق، وقد قالوا: التَّصَوُّف كُلُّهُ خُلُقٌ حَسَنٌ؛ فمن زاد عليك في
حَسَنِ الخُلُقِ زادَ عليك في التَّصَوُّف، وحُسْنُ الخُلُقِ مَجْمُوعٌ في ثلاثة
أشياء وهي: كَفُّ الأذى، وبَذْلُ النَّدَى، وطلاقة الوجه). ثم نقل
عن سيد الطائفة الجنيد بن محمد رحمه الله أنه قال: (مبنى التَّصَوُّف
على أخلاق ثمانية، تَخْلُقُ بها من الأنبياء ثمانية وهي: السَّخَاءُ
لإبراهيم، والرَّضَى لإسحاق، والصَّبْرُ لأيوب، والإشارة لזكريا،

والْغُرْبَةُ لِيَحْيَى، وَوَيْسُ الصُّوفِ لِمُوسَى، وَالسَّيَاحَةُ لِعِيسَى، وَالْفَقْرُ
لِمُحَمَّدٍ ﷺ) اهـ.

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعْلَمْ أَنَّ التَّصَوُّفَ لَهُ خَصْلَتَانِ:
الاستقامة مع الله، والسكون مع الخلق، فمن استقام مع الله،
وأحسن خلقه مع الناس، وعاملهم بالحلْم، فهو صوفي.
والاستقامة مع الله؛ أَنْ يَفِدِّيَ حَظَّ نَفْسِهِ لِنَفْسٍ غَيْرِهِ. وَحُسْنُ الْخُلُقِ
مَعَ النَّاسِ؛ أَنْ لَا تَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى مُرَادِ نَفْسِكَ، بَلْ تَحْمِلْ نَفْسَكَ
عَلَى مُرَادِهِمْ مَا لَمْ يُخَالِفُوا الشَّرْعَ). اهـ

وَقَالَ مَعْرُوفُ الْكَرَخِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (التَّصَوُّفُ: الْأَخْذُ بِالْحَقَائِقِ،
وَالْإِيَّاسُ مِمَّا فِي أَيْدِي الْخَلَائِقِ). قَالَ سَيِّدُنَا الْقُطْبُ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ
بْنُ عَلَوِي الْحَدَّادِ فِي (تَثْبِيتِ الْفُؤَادِ): (طُرُقُ التَّصَوُّفِ وَإِنْ تَعَدَّدَتْ
فَهِيَ طَرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ؛ هِيَ: مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ، وَالْخُرُوجُ مِنْ كُلِّ مَا تَدْعُو
إِلَيْهِ وَهَذَا أَمْرٌ عَسِرٌ). اهـ

وقال الجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ رحمه الله: (ما أَخَذْنَا التَّصَوُّفَ عن القِيلِ والقالِ؛ ولكن عن الجوعِ والسَّهرِ، وتركِ الدُّنيا، وقَطْعِ المألوفاتِ والمستحسناتِ) اهـ.

وقال الشيخُ أبو الحسن الشاذلي رحمته: (ليستِ الطَّرِيقَةُ بالرَّهْبَانِيَّةِ، ولا بأكلِ الشَّعِيرِ والنُّخَالَةِ، وإنَّما هي بالصبرِ واليقينِ والهداية). قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ وكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوْقِنُونَ ﴿ السجدة: ٢٤. وقال الإمامُ النووي رحمته:
أصولُ التَّصَوُّفِ خمسةٌ:

- ١ - تقوى الله في السِّرِّ والعلَنِ.
- ٢ - اتِّبَاعُ السُّنَّةِ في الأقوالِ والأفعالِ.
- ٣ - الإعراضُ عن الخلقِ في الإقبالِ والإدبارِ.
- ٤ - الرِّضا بالقليلِ والكثيرِ.
- ٥ - الرُّجوعُ إلى الله في السَّرِّاءِ والضَّرَّاءِ. اهـ

سُئِلَ بَنَانُ الْجَمَّالُ عَنْ أَجْلِ أحوالِ الصُّوفِيَّةِ فَقَالَ: (الثَّقَّةُ
بِالْمُضْمُونِ، وَالْقِيَامُ بِالْأَوَامِرِ، وَمُرَاعَاةُ السِّرِّ، وَالتَّخَلِّيُّ عَنِ
الْكَوْنَيْنِ). وَقَدْ رُؤِيَ إِمَامُ الصُّوفِيَّةِ الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ رحمته الله وَفِي يَدِهِ
سُبْحَةٌ فَقِيلَ لَهُ: مِثْلُكَ يَحْمِلُ السُّبْحَةَ! فَقَالَ: طَرِيقُ وَصَلِنَا بِهِ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى لَا نَتْرُكُهُ. وَحَكَى أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُرَيْرِيُّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ
الْجُنَيْدِ رحمته الله فِي حَالِ نَزْعِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَخَتَمَ فُشْرَعًا مِنْ أَوَّلِهِ،
فَقُلْتُ: فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! فَقَالَ: وَمَنْ أَوْلَى بِذَلِكَ
مَنِّي، وَهُوَ ذَا تُطَوَّى صَحِيفَتِي.

وَحُكِيَ عَنْ أَحَدِ تَلَامِيذِ سُلْطَانِ الْعَارِفِينَ أَبِي يَزِيدِ الْبُسْطَامِيِّ
- قُدَّسَ سِرُّهُ - أَنَّ أَبَا يَزِيدٍ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ: قَوْمُوا بِنَا حَتَّى
نَنْظُرَ إِلَى ذَلِكَ الَّذِي قَدْ شَهَرَ نَفْسَهُ بِالْوَلَايَةِ، قَالَ: فَمَضَيْنَا؛ فَإِذَا
بِالرَّجُلِ قَدْ قَصَدَ الْمَسْجِدَ؛ فَرَمَى بُزَاقَةً نَحْوَ الْقِبْلَةِ فَانْصَرَفَ أَبُو
يَزِيدَ، وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ وَقَالَ: هَذَا لَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَى أَدَبٍ مِنْ

آداب رسول الله ﷺ، فكيف يكونُ مأموناً على ما يدَّعيهِ من
مَقامات الأولياء والصِّدِّيقين؟. اهـ



ثنية

اعلم أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّثْبُتِ وَالتَّأَكُّدِ فِيمَا يُنْقَلُ إِلَيْنَا مِنْ أَعْدَاءِ الصُّوفِيَّةِ، وَذَلِكَ بِالرُّجُوعِ إِلَى كُتُبِهِمُ الْمُعْتَمَدَةِ، الَّتِي تَلَقَّاهَا عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ وَكَافَّةُ الْأُمَّةِ بِالْقَبُولِ، الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى ذِكْرِ أَوْصَائِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ بِالذَّلِيلِ الْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ كـ (إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ)، وَ(مَنْهَاجِ الْعَابِدِينَ)، وَ(الرَّابِعِينَ الْأَصْلَ) الثَّلَاثَةُ لِلْإِمَامِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَ(قُوَّةِ الْقُلُوبِ) لِلْإِمَامِ أَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكِتَابِ (الرِّسَالَةِ) لِلْإِمَامِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَ(عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ) لِلْإِمَامِ شَهَابِ الدِّينِ السَّهْرَوَرْدِيِّ، وَكِتَابِ (الْحَكَمِ) لِابْنِ عَطَاءِ اللَّهِ السَّكَنْدَرِيِّ وَشُرُوحِهِ، وَغَيْرِهَا مِنْ مَوْلَفَاتِهِمْ، وَكُلُّهَا تَتَضَمَّنُ الشَّرِيعَةَ وَالطَّرِيقَةَ مِنْ تَوْحِيدٍ وَعِلْمٍ وَعَمَلٍ وَعِبَادَةٍ وَأَخْلَاقٍ وَآدَابٍ، وَالتَّخَلِّيَ عَنِ الرَّذَائِلِ، وَالتَّحَلِّيَ بِالْفَضَائِلِ؛ فَهَذَا هُوَ التَّصَوُّفُ الصَّحِيحُ الَّذِي هُوَ جُزْءٌ أَصِيلٌ

من الإسلام، واعتنقه كثير من الأئمة الأعلام، وتشرّفوا
بالانتماء إليه الخواص والعوام. نعم قد اندس في علم
التصوّف ما اندس في بقية العلوم؛ من الدّخيل والمفتري وأعداء
الصّوفيّة، فهل نعيب التصوّف الصّحيح ورجاله المخلصين
بنظرنا إلى هؤلاء الأعداء والأعداء؟

الجواب: لا، كما لا نعيب الإسلام؛ لكون بعض أبنائه
بعيدين عن تعاليمه وأخلاقه وأحكامه الصّحيحة، فالإسلام
غير المسلم، وكذلك التصوّف غير المتصوّف، فلا بدّ من اعتبار
الاصطلاح ومعرفة حقيقة التصوّف والصّوفيّة كما مرّ معنا،
فالتصوّف بغير تلك الحقائق لا يُسمّى تصوّفاً، ولا صاحبه
حرّياً بأن يُدعى صوفياً.

فعلّم أنّه لا ذنب للتصوّف الحقيقي فيما داخله من جهالات
وخرافات ومُنكرات، بل يُعتدّر له كما يُعتدّر لغيره، فقد داخل
عِلْم التّفسير من الإسرائيليات والجهالات، وعِلْم التوحيد من

التَّمثِيلِ والتَّعْطِيلِ والمُبْتَدَعَاتِ، وَعِلْمَ الْحَدِيثِ مِنَ الْمَنَاقِبِ
والمَوْضُوعَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَالْقَضِيَّةُ هُنَا وَهَنَاكَ وَاحِدَةٌ فَلَيْسَ
مِنَ الْإِنْصَافِ أَبَدًا التَّفْرِقَةُ بَيْنَ التَّصَوُّفِ وَسَائِرِ الْعُلُومِ.



في العلم اللدني

العِلْمُ اللَّدْنِيُّ هو الذي يَقْذِفُهُ اللهُ في قلوبِ أوليائه، لا تحويه الطُّرُوسُ ولا تُفِيدُهُ الدُّرُوسُ، وإليه الإشارةُ بقوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة: ٢٨٢. وبقول

رسول الله ﷺ: (من عَمِلَ بما عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ ما لم يَعْلَمْ)

أخرجه الدارمي. فهو ثمرَةُ العَمَلِ بِالْعِلْمِ المُسْتَفَادِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمِنَ الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ وَالنُّورِ الرَّبَّانِيِّ، قال بعضُ أئِمَّةِ

التَّفْسِيرِ في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفُوا اللَّهَ

يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال: ٢٩. أي هدايةً في قلوبِكُمْ، ونوراً

تُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. وَمَنْ أُوتِيَ هَذَا النُّورَ فهو الذي

قال فيه رسول الله ﷺ: (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوَكَ وَأَفْتَوَكَ)

أخرجه الترمذي. وذلك القلبُ الخالي من الهوى، والمتحلِّي

بِالتَّقْوَى، يَعْرِفُ الْحَقَّ مِنَ الْمَبْطَلِ، يُرَخِّصُ لِمَنْ يُرَخِّصُ لَهُ
بِحَقٍّ، وَيَشْدُدُّ لِمَنْ يُشْدَدُّ لَهُ بِحَقٍّ اهـ.

وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله: الْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ: (هو الذي يَنْفَتِحُ
فِي سِرِّ الْقَلْبِ مِنْ سَبَبٍ مَأْلُوفٍ مِنْ خَارِجٍ). وقال نَفَعَ اللَّهُ بِهِ:
(لَيْسَ الْعَالِمُ الَّذِي يَحْفَظُ عِلْمَهُ مِنْ كِتَابٍ فَإِذَا نَسِيَ صَارَ
جَاهِلًا، بَلْ مَنْ يَأْخُذُ عِلْمَهُ مِنْ رَبِّهِ أَيَّ وَقْتٍ شَاءَ بِلَا حَفَظٍ وَلَا
دَرْسٍ، وَهَذَا هُوَ الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ).

(يُرَوَّى أَنَّهُ اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِيهِمْ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ
- قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ - وَعِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَسِرَاجُ الدِّينِ
الْبَلْقِينِيُّ، وَابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فَتَذَاكُرُوا فِي الْعُلُومِ إِلَى
أَنْ تَكَلَّمَ أَبُو الْحَسَنِ فِي الْعِلْمِ الْوَهْبِيِّ الْإِلَهَامِيِّ، فَأَتَى بِمَا يُبْهِرُ
الْعُقُولَ مِنَ الْعُلُومِ الذَّوْقِيَّةِ، فَنَادَى عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ
بِأَعْلَى صَوْتِهِ هَلُمُّوا إِلَى هَذَا الْعِلْمِ الطَّرِيقِ الْقَرِيبِ الْعَهْدِ

بربه) اهـ. أفاده في (النهر المورود) من كلام العارف بالله عيذرؤس بن
عمر الحبشي رضي الله عنه.

قال الشيخ ابن تيمية في مجموع الفتاوى: لا ريب أن الله
يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين؛ بسبب طهارة
قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه، ما لا يفتح به على غيرهم،
وهكذا كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه: إلا فهما يؤتيه الله عبداً
في كتابه. وفي الأثر: (مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)
وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع. اهـ

وقال الإمام السيوطي رحمه الله: (ولعلك تستشكل علم
الموهبة؛ وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان، وليس كما
ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب
الموجبة له من العمل والزهد). اهـ

قلت: وهذا هو الأكثر والغالب بشاهد قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت: ٦٩ وقد يقع

العطاءُ الإلهيُّ لا من طريقِ الكسبِ، بل من محضِ الفضلِ
والطَّوْلِ والوَهَبِ. كما أشارَ إلى ذلكَ سيِّدُنا الإمامُ العارفُ
الوجيهُ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بلفقيه نفعَ اللهُ بهِ بقوله في
رَشَفَاتِهِ:

واختَلَفُوا في صِفَةِ القُرْبَىةِ	وفي اتِّصَالِ القوَّةِ الكسبيَّةِ
أو انعطافِ نفحةٍ جذبيَّةِ	ترفعُ عنه كُلفَةَ الأعمالِ



حكم ما عليه بعض المشايخ الصوفية من إقامة حلقات الذكر مع دور انهم محققين والأخذ بيد بعضهم بعضاً

ما عليه السادة المذكورون مما ذكّر مطلوب ومرغوب، قاصدين
بذلك النشاط والمعونة على ذكر الله تعالى، مع شدة الوجد والشوق
والهيام والتلذذ بها هناك، فالمدار في الأعمال على إخلاص النية، قال
عليه السلام: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) أخرجه البخاري.
وليس في ذلك ما يخالف الشرع وينابذه، بل ما هم عليه من ذكر
الله تعالى والصلاة على رسول الله ﷺ خير عظيم وفضل جسيم
بإجماع الأمة، وموافق للكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ

يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران: ١٩١
وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ
سئل: أي العباد أفضل درجة يوم القيامة؟ قال: (الذاكرون الله

كثيراً) الحديث. قالت عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يَذْكُرُ اللهَ على كُلِّ أحيانِهِ) أخرجه الترمذي. وليس ما يفعلونه من الحركات برقصٍ كما يزعمه بعض الناس، وإنما هو مجرد دورانٍ مع التنزُّل، وأيضاً الرقص الخالي عن التَّكسُّر والتَّشني لا حرمة فيه - ما لم ينضمَّ إليه مُحَرَّمٌ كآلةٍ ومزمارٍ - فلا إنكار ولا منع من ذلك ولا اعتراض على تلك المسالك. وقد ورد في الحديث رقص جعفر بن أبي طالب عليه السلام بين يدي رسول الله ﷺ لما قال له: (أشبهت خلقي وخلقي) أخرجه الحديث البخاري.

وذلك من لذة هذا الخطاب، فكان هذا أصلاً في رقص الصُّوفية لما يدركون من لذة المواجه، وذلك لا يقتضي التَّائيم والإنكار، وقد صرَّح أئمتنا بأن الرقص لا حرمة فيه ولا كراهة لما في الصحيحين (أنه ﷺ وقف لعائشة يسرُّها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويؤفنون) والزَّفْن: الرقص. ولأنه مجرد حركاتٍ على استقامةٍ أو اعوجاج.

ثُمَّ لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ أَحَدٍ أَنَّ الذِّكْرَ بِسَائِرِ أَنْوَاعِهِ عَلَى كُلِّ
أَحْوَالِهِ مَحْمُودٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَالذِّكْرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ
لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٣٥، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الأحزاب ٤١-٤٢، أَيِ أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ
خُصُوصًا، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرِ فَتَفَرَّقُوا
عَنْهُ إِلَّا قِيلَ قَوْمُوا مَغْفُورًا لَكُمْ) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ. وَقَالَ ﷺ:
(مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فَتَفَرَّقُوا عَلَى غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ إِلَّا كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ
جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً وَنَدَامَةً) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ
فِي مُسْنَدِهِ.

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ
وَلَوْ صَدَرَ مِنْهُمْ مَا ظَاهَرَهُ الْمُخَالَفَةُ، كَمَا قَالَ ﷺ لَمَنْ أَقْرَبَ بِالسَّرْقَةِ:

(ما أخالك سَرَقْتَ)، أخرجه الدارمي. وقال لما عَزِيَ اللهُ لَمَّا أَقَرَّ عَنْهُ
 بِالزُّنَا: (لَعَلَّكَ قَبَلْتَ أَوْ غَمَزْتَ) الحديث، رواه البخاري. وقال
 ﷺ: لمن قَتَلَ كَافِرًا بَعْدَ أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ الْقَاتِلُ: إِنَّمَا
 قَالَ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ، فَقَالَ ﷺ (هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ)
 أخرجه مسلم. وقال ﷺ: (لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ بَرَزْتَ مِنْ أَمْرِي مُسْلِمٍ
 سُوءًا، وَأَنْتَ تَحِيدُ لَهُ فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا) أخرجه البيهقي في شُعْبِهِ.
 فتأمل ذلك، واحذر من الوقوع في المَهَالِكِ، فَإِنَّ الاعتراض على
 مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِمَّا يُوجِبُ الْخُذْلَانَ، وَيُوقِعُ فَاعِلَهُ فِي وَادٍ مِنَ
 الْخُسْرَانِ، وَيُخْشَى عَلَيْهِ الْمَوْتُ عَلَى غَيْرِ الْإِيمَانِ. وَذَكَرَ الْعَلَّامَةُ
 الْمَنَاوِي فِي طَبَقَاتِهِ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ﷺ قَالَ:
 (أَخْرَجَ السَّلَفِيُّ فِي الطَّيُورِيَّاتِ عَنِ الْعَتِيقِيِّ عَنِ الطَّرْسُوسِيِّ عَنِ
 الطَّبْرَانِيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ
 وَقَدْ قِيلَ لَهُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الصُّوفِيَّةَ قَعُودٌ فِي الْمَسَاجِدِ عَلَى التَّوَكُّلِ
 بَغَيْرِ عِلْمٍ، قَالَ الْإِمَامُ: الْعِلْمُ أَقْعَدُهُمْ، قِيلَ لَهُ: فَإِنَّ هِمَّتَهُمْ

كِسْرَةً وَخِرْقَةً، قَالَ: لَا أَعْلَمُ أَعْظَمَ عَذْرًا مِمَّنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، قِيلَ:
فَإِنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا السَّاعَ يَقُومُونَ فَيَرْقُصُونَ، قَالَ دَعَهُمْ يَفْرَحُونَ
بِرَبِّهِمْ). اهـ

وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ سُمُوِّ مَقَامِهِ يَتَرَدَّدُ إِلَى بَعْضِ
الصُّوفِيَةِ فَقِيلَ لَهُ: أَتَتَرَدَّدُ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِكَ إِلَى زَاوِيَةٍ هَذَا
الشَّيْخِ؟! قَالَ: (عِنْدَهُ رَأْسُ الْأَمْرِ "تَقْوَى اللَّهِ" أَوْ قَالَ: "
مَعْرِفَةُ اللَّهِ").



خاتمة: في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم

اعلم أنَّ رؤيةَ رَسولِ اللهِ ﷺ مَناماً أو يَقْظَةً ثابتَةٌ عِلْمِيًّا، وقد رآه الكثيرُ مِن صَفَتِ قُلُوبِهِمْ، وطَهَّرَتِ نُفُوسُهُمْ، وقد رآه جماعةٌ من خواصِّ الأولياءِ في اليقظة؛ وذلك كرامةٌ لهم من الله تعالى، وكراماتُ الأولياءِ حقٌّ لا يُنكَرُها إلا مبتدِعٌ ضالٌّ، قال في الجوهرة:

وأُثْبِتَنَ لِلأُولِيَا الكَرَامَةِ ومن نَفَاهَا فانيَظُنُّ كَلَامَهُ
وقد عَقَدَ الإمامُ التِّرْمِذِيُّ في كتابِهِ الشَّائِلِ المُحَمَّدِيَّةِ باباً كاملاً في هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وذكرَ الإمامُ البُخاري في صحيحِهِ خَمْسَةَ أَحاديثَ مِنْها؛ قَوْلُهُ ﷺ: (مَنْ رَأَى في المَنامِ فَسِيراني في اليَقْظَةِ، لا يَتِمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بي). قالَ أبو عبدِ اللهِ - البخاري - قالَ ابنُ سيرين: إذا رَأَى في صُورَتِهِ.

وروى الإمام مسلمٌ في صحيحه قوله ﷺ: (مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ). قَالَ الإمامُ السَّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قَدْ تَحَصَّلَ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَيٌّ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ، وَأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ حَيْثُ شَاءَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَالْمَلَكُوتِ، وَهُوَ بِهَيْئَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ وَفَاتِهِ، وَأَنَّهُ يَغِيبُ عَنِ الْأَبْصَارِ كَمَا غُيِّبَتِ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ رَفَعَ الْحِجَابَ عَمَّنْ أَرَادَ كَرَامَتَهُ بِرُؤْيَيْهِ رَأَاهُ عَلَى هَيْئَتِهِ. اهـ الحَاوِي لِلْفَتَاوَى.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَإِمَّا كَانَ رُؤْيَاهُ ﷺ فِي الْيَقَظَةِ بِمِثَابَةِ أَنَّهَا كَرَامَةٌ لِبَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَالْكَرَامَةُ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ. وَالسَّبَبُ فِي عَدَمِ تَصْدِيقِ الْمُنْكَرِينَ لِرُؤْيَيْهِ ﷺ هُوَ جَهْلُهُمْ بِقُدْرَةِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

وَقَدْ كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَوْ حُجِبَ عَنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرْفَةً عَيْنٍ مَا عَدَدْتُ نَفْسِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَمِنْ أَصْدَقِ الْفَوَائِدِ لِرُؤْيَيْهِ ﷺ مَنَاماً وَرُبَّمَا تَصِلُ إِلَى الْيَقِظَةِ:
شِدَّةُ مَحَبَّتِهِ، وَشُغْلُ الْفِكْرِ فِيهِ مَعَ اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَكَثْرَةُ الصَّلَاةِ
وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِطَرِيقِ الدَّوَامِ، وَالْقِيَامُ بِنَشْرِ دَعْوَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ بَيْنَ
الْأَنَامِ.

رَزَقَنَا اللَّهُ بِجَاهِهِ حُسْنَ الْخِتَامِ، وَمُرَافَقَتَهُ وَمَشَاهِدَتَهُ فِي دَارِ
السَّلَامِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةِ الْكِرَامِ.



الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ الذي يُقام في شهر ربيع الأول في كثير من البلاد الإسلامية

هو بدعةٌ حَسَنَةٌ تَتَضَمَّنُ تَعْظِيمَ النَّبِيِّ ﷺ، وتَوْقِيرَهُ، وإظهارَ شعارِهِ، وتَجْدِيدَ الذِّكْرِ بِتِلَاوَةِ صِفَاتِهِ وَسِيرَتِهِ. وكيفَ لَا يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِبَلِيَّةٍ ظَهَرَ فِيهَا أَشْرَفُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ؟ وكيفَ لَا يَجْعَلُونَهَا عِيداً مِنْ أَكْبَرِ أَعْيَادِهِمْ؟ وقد أشارَ ﷺ إِلَى فَضِيلَةِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ لِلَّذِي سَأَلَهُ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ: (ذَلِكَ يَوْمٌ وَلِدْتُ فِيهِ) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْتَرَمَ ذَلِكَ الْيَوْمُ غَايَةَ الاحْتِرَامِ؛ بِشُغْلِهِ بِالْعِبَادَةِ وَالتَّلَاوَةِ وَالصَّيَامِ وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ الْأَنْامِ.

نَعَمْ، يَجِبُ التَّحَفُّظُ عَمَّا يُنْكَرُ فِيهِ مِنْ اجْتِمَاعِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَمِنْ وَقُوعِ الْمَلَاهِي الْقَبِيحَةِ شَرْعاً، فَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ السَّيِّئَةَ وَالْمُنْكَرَاتِ مُحَرَّمَةٌ فِي كُلِّ مَقَامٍ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْاِعْتَصَامِ.

وقد اعتنى أهل الإسلام شرقاً وغرباً من سائر أقطار المسلمين بالاحتفال بمولده الشريف ﷺ؛ شكراً لله تعالى على ما منَّ به من إيجادِ رسوله الذي أرسله رحمةً للعالمين، وهو أيضاً من علامة محبته، وقد قال ﷺ: (من أحبني كان معي في الجنة) أورده السيوطي في الجامع الصغير. وقال الإمام جلال الدين السيوطي - رحمه الله تعالى - في كتابه (الوسائل في شرح الشرائع المحمدية): ما من بيت أو مسجد أو محل قرئ فيه مولد النبي ﷺ إلا حَفَّتِ الملائكةُ بأهل ذلك المكان، وعَمَّهُم الله بالرحمة، وما من مسلم قرأ في بيته مولد النبي ﷺ إلا رَفَعَ اللهُ القحطَ والوباءَ والآفاتِ والبلياتِ والنكباتِ والحسدَ والبُغْضَ وعينَ السوءِ واللُّصُوصَ عن أهل ذلك البيت، فإذا مات هَوَّنَ اللهُ عليه جوابَ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ، وكان في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مُلْكٍ مُّقْتَدِر. اهـ

قال الإمام الصَّرْصَرِي رحمه الله تعالى:

قليلٌ مدحِ المصطفى الخطُّ بالذهبِ
 على ورقٍ من خَطِّ أحسنِ مَنْ كَتَبَ
 وأنَّ تنهَضَ الأشرافُ عندَ سماعِهِ
 قياماً صفوفاً أو جُثّاً على الرُّكَبِ

قال بعضهم: إنَّ مولده ﷺ أولُ حجرةٍ وُضِعَتْ في أساسِ
 الإسلام، فكيفَ لايجبُ له القيامُ على الأقدام، وقد نصَّ الكتابُ
 العزيزُ على قصَّةِ مولده ﷺ وتعظيمِ شأنِهِ في سورة الصَّفِّ حكايةً
 عن سيِّدنا عيسى عليه السلام

بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اِنِّىْ رَسُوْلُ اللّٰهِ
 اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرِسُوْلِيْ يَأْتِيْ مِنْ بَعْدِي اَسْمُهُ
 اَحْمَدُ﴾ الصَّف: ٦، ووردَ في السُّنَّةِ الغراء: أَنَّهُ يُخَفِّفُ العذابُ عن أبي
 لهبٍ في كُلِّ يومٍ اثنين ؛ لكونِهِ أعتقَ مملوكته ثوبيةً التي بَشَّرتهُ
 بولادته ﷺ فرحاً بذلك.

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَرْزُقَنَا فِي الدُّنْيَا مَحَبَّتَهُ، وَفِي الْآخِرَةِ شَفَاعَتَهُ،
وَفِي أَعْلَى الْجَنَانِ مِرَافَقَتَهُ، مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ، وَأَحِبَّائِنَا وَأَصْحَابِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، آمِينَ اللَّهُمَّ آمِينَ.

والحمد لله رب العالمين



الفهرس

الصفحة	
٥	• مقدمة
٦	• الصوفية والتصوف
٩	• حقيقة التصوف
١٦	• ذكر أدلة الصوفية
٢٣	• فصل
٢٧	• فصل في حد التصوف والصوفي
٣٤	• تنبيه
٣٧	• في العلم اللدني
٤١	• حكم ما عليه بعض مشائخ الصوفية من إقامة حلقات الذكر مع دورانهم محلين والأخذ بيد بعضهم بعضاً
٤٦	• خاتمة: في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٤٩	• الإحتفال بميلاد النبي ﷺ الذي يقام في كثير من البلاد الإسلامية
٥٣	• الفهرس